لم يتبق من الشاب الأجنبى إلا ملامحه واسمه الأول، فريدريك، أما بائع الإسطوانات فرحل وتوقفت تجارته، راحت معه وباع ورثته المحل لتاجر أسلاك كهربائية، السوق بدأ يتآكل، أصبح من الصعب الحصول على أجهزة قديمة منه، ظهرت مكبرات صوت تايوانية، وأجهزة إضاءة، متعددة الأشكال والألوان. ما بقى عالقًا فى الفراغ رائحة اللحوم الطازجة والأسماك البحرية والخضراوات والأجبان، امتدت متغيرات ميدان العتبة إلى هذا الشارع، باعة الهيروين، الماكس، البانجو وحبوب الصليبة المعطلة لسائر الحواس، والغرباء الباحثون عن مأوى ! هذا ما أدى إلى انقطاع صلته بالمنطقة قبل عودته إليها بصحبتها، المكتبة فى الإتجاه الآخر، لم يمتد الزحام إليه، المعالم متماسكة، لم تتحلل بعد.

من المكتبة حصل على طبعة قديمة من «تفسير الأحلام» لابن سيرين، ورغم وجود طبعة جديدة إلا أنه فضل الأولى، تضفى العتاقة على الكتب بعدًا غامضًا وقيمة ما. بعد يومين عاد ليجد نسخة من «تعطير الأنام فى تفسير المنام» للنابلسى.

الكتبى المجرب مد إليه مجلدًا، قال:

«أنصحك بهذا أيضًا..»

التذكرة لداود الإنطاكى، قلب الصفحات، هز رأسه بتأن، قبل الغروب مثل أمامها، عيناها غائرتان، حائرتان، مفتقدة للوسن، الغريب أن أى أثر لسيادته كان مفتقدًا تمامًا، يعلم بوجود عدة مقار له لكن عناوينها مجهولة حتى للمقربين، اثنان منهما على الأقل بدون هواتف أو أى أجهزة اتصال، ينقطع تمامًا حتى عن المراكز الحساسة، يبدو أن لقاءاته بالجلاديوس تتم فى أحدها. المؤكد أن بعض المداعبات تتم فى الطابق